المكان في رواية صبارو لشاكر الميّاح

*الباحث: علي حليبد شرشاب، أ. د. نعيم عموري،
جامعة شهيد تشمران اهواز، ايران
alihlibed1992@gmail.com

تاريخ الاستلام : 23-03-2021
تاريخ القبول : 11-01-2021

ملخص البحث

يُعدّ النثر وسيلة موحية تعبّر عن حياة الإنسان وحالاته النفسيّة، وتكشف عن مكنونات النفس واسقاطاتها، وللتواصل مع الآخر يعتمد الخطاب الإبداعي الذي يحقّق الأهداف والمقاصد الدلاليّة. في هذا الصدد، عكفَ الكتّاب على توظيف جملة من الأدوات الفنيّة الفاعلة لنقل أفكارهم ومشاعرهم إلى المتلقّي، إنّ الاهتمام بالمكان كعنصر من عناصر البناء الفني جاء متأخّراً بالقياس إلى العناصر الأخرى التي ينهض بها العمل الإبداعي كالشخصية، والحوار، والوصف والسرد، فأهمية المكان لا تختلف عن أهمية الزمان أو الشخوص، تدور هذه الدراسة حول المكان في رواية (صبارو) وهي رواية تنضوي تحت الأدب الاجتماعي ومعالجة قضاياه، ويقف البحث عند دلالة المكان، ودوره في التشكيل الفني للنص الروائي، مع التركيز على علاقة المكان في سائر العناصر المشكلة للرواية، ومن ذلك علاقته بالزمن، والشخصيات، والأحداث، واللغة، مع الإشارة إلى دوره في التقنيات الفنية التي تمّ توظيفها في الرواية واستخلاص الرؤية العامة للرواية، من خلال علاقة العناصر الفنية الجمالية الداخلية للنص. فقد وظّف الروائي المكان على أنه مكان حقيقي، فكانت بغداد وضواحيها وشوارعها مسرحا للرواية بأسماء حقيقية وموقع جغرافي واقعي، فأعطى مصداقية للرواية. ثم قدم الوصف صورة بصرية للمكان الذي تدور فيه أحداث الرواية، مما جعل المتلقي قادرا على إدراكه وقبول ما يجري.

الكلمات المفتاحية: النص، المكان، الرواية، صبارو، شاكر الميّاح.

The place is in Sabaro's novel by Shakir Al-Mayah

Dr.Associate Professor, Naeem Amouri - master student Ali helibed shershab

n.amouri@scu.ac.ir

Shahid Chamran University of Ahvaz-Iran(Responsible author)

Receipt date: 2021-03-23
Date of acceptance: 2021-01-11

Abstract

Poetry is a suggestive means that expresses the human life and his psychological cases، and reveals the intents and projections of the soul and for communication with the other depends on the creative speech that achieves the semantic goals and purposes. Regarding this، poets have worked to employ a number of effective artistic tools to convey their thoughts and feelings to the recipient. The interest in place as an element of artistic construction came late in comparison to other elements that the creative work elevates، such as personality، dialogue، description and narration. The importance of place is not different from the importance of time or characters، because this study does not revolve around the significance of place in the novel (Sabaro)، which is a novel that falls under the Societal literature and deals with its issues .The research depends on the significance of place and its role in the artistic formation of the narrative text، with emphasis on the relevance of place in all the elements that make up the novel، including its relevance to time، characters، events، and language، with reference to its role in the technical techniques that have been described in the novel and extracting the general vision of the novel through the relevance of the internal aesthetic artistic elements of the text. The novelist described the place as a real place، so Baghdad and its suburbs and streets were the scene of the novel with real names and a realistic geographical location، thus giving credibility to the novel. Then the description provided a visual picture of the place in which the events of the novel take place، which made the recipient able to realize it and accept what is happening.

Keywords: text، place، novel، Sabaro، Shakir Al-Mayah

المقدمة:

ليس المكان مجرّد خلفية لأحداث الرواية، بل يعتبر عنصرا أساسيا في تقديم الحدث الروائي ونحت شخوص الرواية،لا بل يعتبر المكان من الشروط التي لا يمكن أن تستغني عنها الرواية بغض النظر عن المجال النظري التي تتنزل فيه سواء كانت رواية كلاسيكية أو تجريبية أو غير ذلك. أنّ عنصر المكان يعتبر ضروريا فلا شخصية تنشأ خارج المكان، ولا حدث يتحرّك خارجه. فالمكان هو الحيّز الذي توجد فيه الشخصيات الروائية وتتطوّر الأحداث وتنمو، بل ان العلاقة بين المكان والشخوص هامة، من منطلق أن هناك علاقة تأثير وتأثّر وهذا يساهم في تفاعل الأحداث ويدفع بها بشكل أو بآخر.

ولعلّ هذا التفاعل الشديد بين الانسان والمكان يبدو من خلال قدرة المكان على التأثير في الشخصية وملامسة الذات في عمقها النفسي وفي بنيتها الذهنية على اعتبار التأثيرات التي تحدثها تضاريس المكان من سهول وجبال وصحاري وبحار غيرها على نفسية الانسان وتفكيره؛ فابن المناطق الساحلية غير ابن المناطق الجبلية. هذا فضلا عن أن المكان هو ليس مجرد طوبوغرافيا، أي تضاريس ومناخ فقط، بل هو تشريط ثقافي ومجموعة من القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية،ومن ثمة فان التفاعل مع المكان هو تفاعل ثقافي وقيمي؛ فالانسان يسكن المكان ويشحنه بدلالات مختلفة ومتعددة؛ ولذلك يكون المكان غير محايد بالنسبة للانسان؛ لذلك يتخذ منه مواقف مختلفة قد تبدو في التعلق به أو النفور منه.

في الأدب– وتحديدا في الرواية – يعتبر المكان عنصرا مهمّا لا يمكن الاستغناء عنه كلّيا على انه ثابت في كل نص روائي؛ لدوره في نحت الشخوص وقدرته على التأثير في الأحداث، من ذلك فإن النقّاد قد اهتموا كثيرا بالمكان ونحتوا له مفاهيم عدة، ونتحدث عن المكان الروائي بوصفه منظورا.

والرواية جنس أدبي يتميز بتماسك شديد بين العناصر المكونة له، وإن عنصر المكان من بين العناصر الروائية، ولهذا فإن الكاتب مهما كان نوع عمله لا يمكنه أن يتخلى عنه فهو بمثابة العمود الفقري للعمل السردي. ويمثل المكان في الرواية عنصرا مهما من عناصر السرد الروائي ليس لأنه الفضاء الأفقي للنص فقط حيث تدور الأحداث ويتحرك الأبطال في دوائر متقاطعة وتتضح معالم شخصياتهم وتنمو وتتحول؛ بل لأن المكان –في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة – يرتبط ارتباطا وثيقا بالنص وشخوصه، بحيث ينتج عن عناصر الرواية المختلفة التفاعل بمنظومة سردية تنتظم في الشكل الروائي؛ لذا فقد درس المكان

ودلالاته في الرواية بكثرة، ومن الطبيعي أن يكون لكل باحث أسلوبه الخاص وطريقته الخاصة في التعامل مع الأحداث التي تجري فيه، فبض الباحثين درس المكان من الناحية النفسية للشخصية ومنهم من درسه من حيث الأهمية الاجتماعية او التاريخية. وفي رواية صبارو وبحثنا تحديدا فقد اقتصر على أهم الأمكنة ومدى تأثير الشخصية الرئيسة في الرواية أو الشخصيات الاخرى التي لها علاقة ببطل الرواية، ومدى تأثير هذه الأمكنة على الشخصية النفسية والاجتماعية والاقتصادية؛ لذا قُسِّمَ لبحث إلى مبحثين.

الأول: ثم تناول (مفهوم المكان في اللغة والاصطلاح، ومفهوم المكان الروائي واهمية المكان في العمل الروائي فيه)

الثاني: تمَّ تناول أنماط المكان فيه وتم تقسيمه إلى (فضاء المكان المغلق، فدُرس كل من الحانة، والبيت، والمدرسة، والصومعة) أما (فضاء المكان المفتوح فتمَّ تناول الشارع، والزقاق، والقرية، والمقبرة)، فيه ثم خُتِم البحث بالنتائج، وتثبيت المصادر والمراجع.

والمكان في رواية صبارو عبر دراستنا له نلاحظ أن دلالاته لم تتغير، فكل مكان له انعطافات خاصة به ولم يتغير بتغير الأحداث كما في بعض الروايات فالمكان ثابت غير متغير.

أسئلة البحث

- ما أهمية المكان في العمل الروائي؟
- ما هي وظيفته في رواية صبارو؟

فرضية البحث

- للمكان دور مهم في تفعيل العمل الأدبي والفني، بل هو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها ذاكرة التاريخ فمن خلال المكان وما يحدث فيه يمكن قراءة كل حدث وفهمه، وتفاعلات الشخصيات وحركاتهم مع المكان.
- وظيفة المكان هي وظيفة جمالية دلالية ذات بعد رام في صنع الإبداع الفني. إنّ المكان ليس عنصرا زائدا في رواية صبارو، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله بدءا من الحانة وانتهاء بالسوق، وإن كان في المكان إشارات بسيطة لكنه لم يخلّ من المعاني والدلالات والعبر.

منهج البحث

وقد اعتمد البحث المنهج الأقرب لهذه الدراسة، وهو المنهج الوصفي التحليلي، فهذه الأسئلة كلها انبثقت منها فكرة البحث لنبرز من خلالها تموضع المكان داخل الرواية.

هدف البحث

تناول هذا البحث المكان في رواية صبارو لشاكر المياح، حيث سلط الضوء على المكان واهميته وانواعه، لتعريف القارئ بمفهوم المكان الروائي، ومدى تأثير ذلك في فهم دور المكان في صنع الفضاء التشكيلي للصورة الفنية المتخيلة لدى المتلقي، وكذلك الكشف عن بعض الجوانب الإبداعيّة بغية التواصل بين المرسل (الراوي)، والمرسل إليه (المتلقي) في ضوء المنهج التحليلي للنصوص.

خلفية البحث

عبر البحث عن الدراسات التي تناولت رواية صبارو لم نجد سوى مقال قصير جدا كتب في جريدة الحقيقة

1- صبارو .. رواية ثالثة لشاكر المياح ، جريدة الحقيقة ، بتاريخ 7\6\2014

اما خلفية البحث من حيث المضمون، والمصادر التي تناولت مفردة المكان كدلالية وجمالية فهي كثيرة نذكر منها:

2- شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط 1، دار الفارس للنشر والتوزيع. عمان، 1994

3- أبو هيف ، عبدالله ، جماليات المكان في النقد الأدبي ، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسة الآداب والعلوم الانسانية المجلد (27) العدد (1) 2005

4- سعاد، حماني، دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ دراسة تطبيقية، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2007-2008

5- العبيدي، رشا قاسم فياض، الفضاء الروائي في روايات محسن جاسم الموسوي (رسالة) جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات.

6- سعدون، غيداء احمد، المكان والمصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية، مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2 ، 2011

7- باشلار، غاستون، جماليات المكان، تر : غالب هلسا، ط2 ، بيروت – لبنان ، المؤسسة الجامعية للنشر، 1984

مفهوم المكان

1- المكان لغة

جاءت لفظة المكان في المعاجم اللغوية بمعان ودلالات متقاربة فيها إشارات واضحة وصريحة بأن المكان هو الموضع والمنزلة والبدل ، والمكانة المنزلة عند الملك، والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير «جاء في لسان العرب لإبن منظور: " والمكان المنزلة عند الملك، والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير وقد مكن مكانة فهو مكين، والجمع مُكناء، وتمَكَّنَ كمكُنَ"(ابي الفضل ، مج 15، 2005 :ص 113) "المكان والمكانة واحد. التهذيب: الليث مكان في أصل تقدير الفعل مَفعَلٌ، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الأفعال"(المرجع نفسه ، ص113) ، وجاء في تهذيب اللغة أن المكان " وقال سلمة : قال الفراء: له في قلبي مكانة وموقعة ومحلة (ابو عبيد عن أبي زيد): فلان مكين عند فلان بين المكانة يعني المنزلة قال: والمكانة: التؤدة أيضا"(الأزهري ،"د .ت " ج 10 ، ص292)

2- مفهوم المكان اصطلاحا

تناول الفكر الإنساني مفردة المكاني قديما وحديث؛ وأدرك الإنسان أثر المكان في حياته" لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي، وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته، وتأصيل لهويته فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهميته ووجوده [...] لأن وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره، فلا تكسب الذات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجود فيه " (زغرب ،2006 : ص95) ، وهو وحدة اساسية من وحدات العمل الأدبي والفني في نظرية الأدب وعدت إحدى الوحدات التقليدية ، ولطالما كانت مثار جدل في تحقيق العمل الأدبي والفني في المسرح بالدرجة الاولى، ولم يتجاوزها منظور الأدب في العصر الحديث، بل صارت ركيزة من ركائز الرؤية وجمالها في النظرية الادبية الحديثة(أبو هيف ، مج 27، ع10 ،2005م :ص

123) التمييز بين المكان والفضاء لم يُعالجْ بشكل واضح ومضبوط، فبقى هناك خلط في استعمال المصطلحين، غير أن مصطلح "فضاء" يمتلك نوعا من الاتساع ولا يرتبط بالمكان الهندسي المحدود الأبعاد.

فمرجعية الإنسان الأولى تعلقت بالمكان ليبني منظومته ،كما أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يتعامل بها الإنسان مع الوسط الذي يعايشه، وينتمي إليه. فالمكان في نظر يوري لوتمان حقيقة معيشة تؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان قيما تنتج من التنظيم المعماري كما ننتج من التنظيم الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس الذين يلحون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة (قاسم ،2004:ص83) فكل مكان حسب لوتمان يفرض طقوسه وخصوصيته على الفرد الذي يوجد فيه؛ فهو ملزم وخاضع لتلك القواعد التي تحكمه ونفرض كينونتها على الإنسان .فتختلف دلالة المكان من دلالة جغرافية إلى دلالة فلسفية وحتى هندسية حسب تموضع الأمكنة هذا، واهتم غاستون باشلار (Gaston Bachlard) بمفهوم المكان وعلاقته بالإنسان، حيث أنجز مجموعة من الدراسات من أهمها كتاب "شعرية المكان " وترجمه غالب هلسا تحت" جماليات المكان " وقد تناول فيه باشلار الجانب الجمالي للأمكنة كما أوضح هلسا "أن النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف هي أن البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة ومركز تكيف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ، ذلك الإحساس بالجمالية والأمن اللذين كانا يوفرهما لنا البيت القديم. "(باشلار . 1983 :ص30)

وتظل خصوصية المكان القديم بيت الطفولة، ذات تأثير كبير على ذاكرة الإنسان مهما ابتعد عنه جسديا إلا أنه يظل قابعا ومحفورا في ذاكرته. كما يرى باشلار أن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال، لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز. يؤكد باشلار أنه لا يوجد موضوع دون ذات، بل الخيال بالنسبة للمكان يلغي تلك الموضوعية. فهو يجعل للذات موضوعها الخاص المستقل عن الواقع لأن "الإحساس بالمتناهي في الكبر يوجد داخلنا ولا يرتبط بالضرورة بشيء " (المصدر السابق نفسه : ص30) وهنا يظهر الوعي الإنساني في تحويل الأمكنة سواء ربطه بالأشياء وبالخيال أو بالإحساس. وقد ساهم باشلار في بناء تصور جمالي للمكان.

ثانيا: أهمية المكان:

يمثل المكان في الرواية عنصرا مهما من عناصر السرد الروائي؛ لأن المكان في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالنص وبكل ما يحتويه من شخصيات وأزمنة وحوادث، وبما أن المكان عنصر يتميز بخصوصيته وبوظائفه المتعددة التي تتحكم في تكوين إطار الحدث، كما أنها تساعد القارئ على التخيل وتصور الأمكنة التي يعرضها الروائي سواء كانت أمكنة مغلقة أم منفتحة أو أمكنة ذات أبعاد سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فلسفية، وإن أهمية المكان تتجلى من خلال علاقاته مع العناصر الروائية الأخرى فهو متلاحم معها «فالمكان الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وانما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد [...] وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد" (بحراوي ،2009 : ص27)

رغم إقرار النقد بأن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها – بالنسبة للقارئ – شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها "إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور أو الخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه، إلا ضمن إطار مكاني معين لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني غير أن درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخر ى" (الحمداني ، 1991:ص65)

فالأماكن في الرواية تخلق فضاء شبيهابالفضاء الواقعي، وتعمل على دمج الحكي في نطاق المحتمل.

الرواية تحتاج إلى مكان من أجل رسم حركة الشخصيات بما أن "الرواية تحتاج إلى نقطة انطلاق في الزمن ونقطة اندماج في المكان [...] وللثانية تنظيم حركة الشخصيات في المكان أي أن الهجرة أو الرحلة مثلا لا يأخذ دلالته في الرواية إلا بمدى ابتعاد إحدى الشخصيات عن موقع معين أو تحركها بين موقعين" (عاشور ،2010:ص30)

"إن المكان في مقصوراته المغلقة لا التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثفا هذه هي وظيفة المكان" (باشلار ،2000:ص39)، وهذا يدل بأن للمكان صلات بالزمن فهو مخزن له ومن خلاله نستطيع تحديد الزمن في العمل السردي وهو ما يجعل من وصف الأمكنة والمشاهد الطبيعية وصفا للزمن.

ويرى ياسين النصير أنَّ "المكان في العمل الفني شخصية متماسكة [...] ولذا لا يصبح غطاءً خارجيا أو شيئا ثانويا بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني [...] المكان هو "الجغرافية الخلاقة في العمل الفني، واذا كانت الرؤية

السابقة له محدودة باحتوائه على الأحداث الجارية فهو الآن جزء من الحدث وخاضع خضوعا كليا له فهو وسيلة لا غاية تشكيلية ولكنها وسيلة فعالة في الحدث" (النصير ،1980:ص17-18)

المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا؛ فالموقف من المكان متأت من قيمته وما يثيره من أحاسيس ومشاعر فهو يترك أثره في نفس الإنسان سواء بالألفة أو العدوانية وقد يتجاوز الأثر النفسي، فهناك بعض الأماكن تكون محملة بدلالات فكرية تعمل على إكمال المعنى في الرواية وفي هذا يقول حميد الحمداني: " فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسيط يؤطر الأحداث إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقتحم عالم السرد محرار نفسه هكذا من أغلال الوصف"(الحمداني ، 1991 : ص71) .المكان عنصر لا غنى عنه في العمل الأدبي وخاصة عندما يصبح محاورا حقيقيا من خلال الإسقاطات التي يقوم بها الروائي؛ فهو من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب وتحليل شخصياته من الناحية النفسية.

يؤثر المكان في كل العناصر المكونة للعمل الروائي ويصبح عنصرا فاعلا في السرد " والحق أن الرواية في كل ذلك لا تكشف المكان بكلمة واحدة لا اثنتان، تكشف نفسها إن ينبهنا عرضها له وحضوره فيها إلى مقامه منها وأثره الفعال فيها ومساهمته في بناء عالمها" (زايد ، 2003 : ص7)

إن الأحداث لابد لها من مكان تجري عليه، والشخصية الروائية تربطها علاقات عميقة بالمكان الذي تتحرك فيه، فكل مكان تشغله الشخصية أو تراه أو تحلم به يشكل أهمية في بنية السرد ،" أما الراوي فله علاقة متعددة الجوانب بالمكان الروائي، فهو الذي يأخذ على عاتقه تحديد الإطار الجغرافي الذي تدور فيه الأحداث وهو كذلك يقوم بمهمة الوصف، الذي من ضمن مهامه وصف المكان، واذا كان الراوي يروي بصيغة المتكلم، أي يكون الراوي أحد الشخصيات الروائية، فيكون من مهامه الإضافية بيان الأثر النفسي للمكان الروائي"(محمود ،2011 : ص145)

وهناك من يرى في المكان بأنه هوية العمل الأدبي الذي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته، وبالتالي أصالته وفي ذلك يقول شاكر النابلسي: " ولعل مرد اهتمام غالب هلسا بالمكان على هذا النحو إيمانه المتمثل بقوله في مقدمته لكتاب باشلار: " إن العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"(النابلسي ، 1994 :ص14)

حين يخلو العمل الأدبي من المكان يفقد خصوصيته التي ينتمي إليها وأصالته التي تعد من أساسيات العمل الأدبي ومسوغات نجاحه؛ لذلك فأهميته لا تقل شأنا عن غيرها من عناصر العمل الأدبي الأخرى، كما أنه يتسم بالجمالية والإيحاء " فكأن الذي يبقى من آثار قراءتنا لأي عمل أدبي يمثل غالبا في أمرين مركزيين: أولهما الحيز، وآخرهما الشخصية التي تضطرب في هذا الحيز بكل ما يتولد عن ذلك من اللغة التي تستنتج والحدث الذي تنجز والحوار الذي تدبر والزمن الذي فيه تعيش" (مرتاض ، 1998 :ص132) إن تأثير جمالية المكان في القارئ تجعله راسخا في ذاكرته وبهذا يحفظ العمل من النسيان والاندثار، فهو يجسد عبقرية الإبداع.

ثالثا: أنواع المكان:

هناك صعوبة في تحديد المكان بصفة دقيقة جدا وموحدة ولكن توجد اجتهادات تطبيقية حددت أنواع المكان وأبعاده وصفاته، وهذه الأخيرة أخضعته لمقاييس ومعايير معينة فكان هناك مكان مجازي وهندسي ومعاد وتجربة معاشة وأليف وموضوعي ومفترض ومفتوح ومغلق...وغير ذلك من الأسماء.

فطريقة معالجة المكان ختلف من باحث إلى آخر ومن رواية إلى أخرى، وفي ذلك يقول حميد الحمداني: " إن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق. " (الحمداني ، 1991 : ص72) لقد حدد غالب هلسا مستويات المكان في الرواية العربية بالعناوين الآتية:

1/ المكان المجازي: هو مكان مفترض، وهو بمثابة مكان تجري فيه الأحداث ومكمل لها مثل الأشجار التي تعترض طريق البطل وتخفي الهارب، وقد يكون هذا المكان وصفا لحالة تمر بها إحدى الشخصيات الروائية مثل الفقر، والغنى.. ولهذا تكون صفات مثل هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنيا ولكننا لا نعيشه.

2/ المكان الهندسي: ويتجسد هذا المكان في الروايات التي يغلب عليها اليأس والعجز والإحباط.

3/ المكان تجربة معيشة: يعد هذا المكان من أكثر الأماكن تأثيرا في حياة الإنسان ويبقى مخلدا ومحفورا في ذاكرته، فهو الذي يشكل – دون أي مكان آخر– ذاتيته. ويعد البيت أهم مكان يعمل على دمج أفكار الإنسان وذكرياته وأحلامه: أي الماضي والحاضر والمستقبل.

4/ المكان المعادي: تتمحور حوله الأماكن الآتية: (السجن، الطبيعة الخالية من البشر مكان الغربة والمنفى وما شابه ذلك، وهو المكان الذي يقف للإنسان بالمرصاد لمواجهة إنسانية وقد شبهه بالمجتمع الأبوي نقيض الأم ومي لدلالته على السلطة والتحكم) (زغرب ، 2006 :ص97–99) . أما غاستون باشلار ومن خلال كتابه "جماليات المكان" فإنه يدرس المكان ومدى ما يثيره من خيال لدى المبدع والمتلقي، والمكان عنده هو المكان الأليف، فقد انصبت دراسته على البيت " بيت الطفولة هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل نستعيد ذكراه، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كان يوفرها لنا البيت" (باشلار ،2000: ص9)

المكان وسيلة اتصال بين المبدع والمتلقي بواسطة الصورة الفنية التي يرسمها المبدع ،ولا وجود للمكان المعادي عند باشلار كمعادل للمكان الأليف. وهناك من قسم المكان إلى مفتوح ومغلق.

إن جماليات المكان تعكس الفروق الاجتماعية والنفسية والإيدولوجية لدى الشخصيات الروائية، فضلا عن أن الدلالات النابعة من هذه الفروق يمكن أن تكون تعبيرا عن رؤية الشخصيات للعالم وموقفهم منه، كما قد تكشف عن الوضع النفسي لهم بحيث يصير للمكان بعد نفسي يسبر أغوار النفس البشرية عاكسا ما يثيره المكان من انفعال سلبي أو إيجابي. وعلى حد تعبير صبحي الطعان:" للمكان قيمة تتوضح باكتشاف الأبعاد الثلاثة فيه البعد الجمالي والدلالي والايدلوجي " (الطعان ، 1995 ، 66) ، ومن هذا المنطلق قسم بعض النقاد المكان إلى مغلق ومفتوح، ليدرس المكان بكل انعطافاته، ومدى ارتباط المكان، بالحدث، والحوار، والشخصية الروائية، وباقي العناصر الروائية.

1 / فضاء المكان المغلق:

تعتبر الحواجز والقيود التي تشكل عائقا لحرية نشاط الإنسان وانتقاله من مكان إلى آخر الصفة البارزة في تحديد المكان المغلق ، وبالإضافة إلى الحالة النفسية التي بإمكانها تحويل المكان المفتوح إلى مغلق، وهذا ينطبق على الأماكن المغلقة أي يمكن أن تتحول إلى أماكن مفتوحة وبالتالي انغلاق المكان أو انفتاحه رهين بالحالة النفسية لساكنه. من المعروف والبديهي من خلال لفظة

(مغلق) يفسر المكان ضمن هذا العنوان على أنه المكان الذي تمده حدود جانبية وحدود سقفيه وتمدد مساحته ومكوناته كالبيوت والمدارس والجامعات والمستشفيات والسجون وغيرها ، وهذه الاماكن ؛ اماكن اختيارية الإقامة؛ فتكون مصدرا للاطمئنان والاستقرار ، وقد تكون اماكن إقامة إجبارية أو قسرية و حينها تتحول إلى أماكن ريبة وخوف وقلق بعد أن كانت اماكن الفة واطمئنان ، وقد تكون أماكن شعبية يقصدها الناس أوقات الفراغ كالمقاهي والحانات والمطاعم (جهاد ، 1987 :ص44) .

وقد تناول باشلار في كتابه (جماليات المكان) الأماكن الضيقة ودلالاتها بالنسبة إلى بيئة الإنسان التي يعيش فيها ويتفاعل معها، فتحدث عن البيوت والخزائن والصناديق المقفلة والابواب كما تناول جدلية الداخل والخارج واشار إلى أنها مهما تكن طبيعة المكان ضيقة أو رحبة، ومهما يكن حجم الموصوف صغيرا أو كبيرا فإنه يشير إلى الأحوال التي تمر بها النفس البشرية والحرية التي تتشوق إليها، ورأى باشلار انه لا يمكن وضع تعريف محدد للداخل أو الخارج؛ لأن الصراع بين المحدد (الداخل) والشاسع (الخارج) ليس صراعا حقيقيا إذ أن أبسط حركة يمكن أن تخل باتساق الاحداث؛ لذلك فإنه تناول هذه الجدلية من خلال تعابير الوجود وبعيدا عن الحالات الهندسية (كريم الدين ، 2000 : س82).

وقد تمثلت الأماكن المغلقة في رواية (صبارو) ب (البيت، الحانة، الصومعة، المدرسة، المستشفى، دائرة الطب العدلي) وقطعا تختلف دلالة المكان باختلاف تجارب الشخصية وتختلف ايضا باختلاف الشخصيات في الرواية فهو يكتسب الدلالة النفسية والاجتماعية والفكرية من خلال ارتباط الشخصيات التي تشترك فيه، لذلك نلاحظ ان بعض الشخصيات تشعر بالراحة والاطمئنان والألفة لمكان ما ولكنه يكون موضوع خوف وقلق نفسي لذات المكان حينها يقصد الشخص الأمان والألفة... وسيقف على بعض أنماط المكان التي جاءت في رواية صبارو هي:

1-1 الحانة

الحانة أو ما يعرف بالخمارة هي أول الأماكن التي ظهرت في رواية صبارو " في تلك الحانة الرائعة المرفقة بمقر الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ذات الحديقة الواسعة"(الرواية :ص10) ، فظهور الحانة في الرواية لم يكن بالمتصور المعروف عنها والتي لا حصر لذكرها في هذا الموضع، بل هي عند الراوي مكان تجمّع الأدباء والكتاب والرواة فكانت مرفقة بمقر الاتحاد العام للأدباء، وهو موضع تجمّع الخميسين فهم يتسامرون بروائع كتاباتهم على أنغام الموسيقى الهادئة " ليل الحانة ودخان السكائر ، وكؤوس الراح ، وقهقهات الندماء، وأنغام الموسيقى واضواء تتراقص كأنها في ذبالاتها الأخيرة ، أجواء لا يمكن إلا أن يرجعها

ويحسب حزين ذاكرته إلى ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم "(الرواية :ص10)، بمقارنة سريعة وعلى عجالة ، بين وصف حانات الروايات العربية وخصوصا المصرية مع وصف الحانة عند المياح نلاحظ ، أن الأخير كان منصفا بامتياز ، فهو لم يوظف السخيرية والسفالة في مكان الحانة كما يتصور البعض ، أو كما يقرأ المتلقي لمعظم الروايات العربية ، فقد وصف أبعادها بكل صغيرة وكبيرة ، بما لا يدع مجالا للشك لتخيل تلك الحانة وما يدور بداخلها من أجواء خيالية ، فوظيفتها الأساس هو نجمّع اولئك الادباء للتسامر ومبادلة الافكار ، والثقافة العربية ، فالوصف الدقيق لها ، ملتقى ثقافي ليس إلا ، لذا "كانت الحانة مكتظة بالرواد"(الرواية :ص10)

2-1 المدرسة

تمثل المدارس بالنسبة للتلاميذ ما تمثله أماكن العمل عند أولياء امورهم ، مع أنه مكان آخر من أمكنة العمل ، ورغم أهمية المدرسة ، ورغم ذكرها في المتن الروائي بكثرة إلا أنها لا تكاد تزيد عن أسماء توحي إلى فضاء مليء بالنشاط والحياة ، بمعنى اننا نحصي أسماء المدارس واعدادها فقط دون وصفها ، فتصبح من الفضاءات التي تمثل المظهر الخلفي أو (الحيّز الإيمائي) ، يسميه جيرالزجيت " حيث يمكن أن تمثل الحيز بواسطة كثير من الأدوات اللغوية غير ذات الدلالة التقليدية للمكان ، وذلك بالتعبير عنها غير المباشر"(سعاد،2007\2008:ص92)؛ لذا – بحق – لم نتحصل على أية اوصاف تحيل إلى صورة المدرسة ، من الخارج كحجم المدرسة ، أو شكلها أو مساحتها ، أو من حيث الداخل كعدد الاقسام واثاثها ... حتى عند أول لقاء لسلام يعقوب مع ضمياء أو من خلال لقائه بها يوميا "ضمياء التي انتقلت إلى مدرستي منذ عامين انصرما ، مثل ومضة ضوء تلاشت في أعماق الكون"(الرواية ، ص19) .

فعلى الرغم من حدوث انتقالة في حياة سلام عندما التقى لأول مرة في حياته بفتاة ، تمنى في يوم من الايام أن تشاركه حياته ؛ فلم يحاول الراوي أن يسترسل في المكان أو وصف المدرسة تحديدا ، فاسم المدرسة مر بصورة سريعة عندما ذكرها أحد الخميسيين للذهاب مع التلاميذ في السفرة المدرسية و " كانت ثمة حافلة زرقاء تقف امام بوابة الغد الأفضل الابتدائية المختلطة"(الرواية :ص19) .فالمدرسة على الرغم من وجودها بحياة سلام لم نستطع ان نقف على أبعادها واوصافها كما ذكر البحث ذلك قبل قليل " لقد ابتليت باثنين ، عجزي عن الاقتراب من معاونتي ضمياء والشلل الذي يعتري لساني لحظة دخولها غرفتي لاستشارتي"(الرواية :ص10) .أما عند ضمياء فقد تمثلت المدرسة في بعض الأحيان بالخوف والقلق؛ وذلك عندما تعمل

في المدارس التي سبقت نقلها إلى مدرسة سلام يعقوب ، بسبب تلك القصاصة. فتبقى المدرسة في رواية صبارو مكانا تتنفس فيه الشخصية وتشعر فيه بالأمام لأنها سببا في تعرّفه على ضمياء ، الاتي نقلت إلى مدرسة الشخصية الرئيسة في الرواية ، حيث عرف السعادة خلال فترة تعرّفه على حبيبته.

3-1 البيت

هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار الإنسانية وذكرياتها وأحلامها، ومبدأ هذا الدمج واساسه هو أحلام اليقظة ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل ديناميات مختلفة، فكثيرا ما تتداخل او تتعارض ، وفي احيان أخرى تنشط بعضها بعضا في حياة الإنسان، ينمّي البيت عوامل المفاجأة ويخلف استمرارية... البيت جسد وروح، وهو عالم الإنسان الأول قبل أن يقذف بالإنسان كما يدعي بعض الفلاسفة الميتافيزيقين المشرعين، فإنه يجد مكانه في مهد البيت، وأي ميتافيزيقيا دقيقة لا تستطيع اهمال هذه الحقيقة البسيطة لأنها قيمة مهمّة، نعود دائما إليها في أحلام يقظتنا الوجود اصبح الآن فيه الحياة تبدأ بداية جديدة مسيجة محمية دافئة في صدر البيت (باشلار2000:ص38) . إن البيت القديم –بيت الطفولة – هو مكان ألفة ومركز تكيف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه، ونسقط على كثير من مظاهر الحياة المادية؛ ذلك أن الإحساس بالجمالية والأمن اللذين كان يوفرهما لنا البيت، أو هو البيت القديم الذي يصفه –(بلاشار) ب (بيت الأشياء) العش – يبعث احساسنا بالبيت لأنه يجعلنا نضع انفسنا في أصل منبع الثقة بالعالم .. هل كان العصفور يبني عشه لو لم يكن يملك عزيزة الثقة بالعالم(المصدر نفسه :ص 9-10) .

فالبيت الملاذ الآمن وواحة الاستقرار والذكريات الجميلة المفعمة بأيام الطفولة والصداقات القديمة ، وفي رواية صبارو توزع البيت عند سلام يعقوب بين الحلاوة والمرارة ، بين الليل والنهار، "فكان النهار يبعث فيه الأمل والأمان والتفاؤل والفرح بما يشاهده من مشاهد في حديقة بيته الامامية من طبيعة خلابة و اصوات العصافير والعنادل في حديقة البيت ثمة شجرة كالبتوس متشابكة الاغصان، احسبها ملاذا آمنا للعصافير والعنادل التي توقضني كل صباح بزقزقتها فتثير في نفسي التفاؤل والفرح وكثيرا ما رمى اطفال الحارة اعشاشها بالحجارة، فيسقطون بعضا من افراخها التي لم ينبت الزغب عليها بعد ولكم تألمت لمثل هذه المشاهد "(الرواية20) .

رسم الراوي صورة رائعة؛ بل لوحة مفعمة بالصور لمكان على الرغم من بساطته وصغر مساحته فكانت الحديقة تمثل مكان الفة واطمئنان وراحة نفسية لسلام يعقوب، أما في الليل فكان للبيت طعم آخر يتسم بالمرارة ترجمها بالبكاء، حينها يحس بالراحة والاطمئنان بمجرد نزول دموعه على خديه.

ليل سلام في البيت لم يكن كنهاره ، بسبب مرض والده الذي جعل منه يحس بوجع والده الذي يعتصره الألم " فقد كانت تنتاب والدي النوبات من انين موجع ربما بسبب فقده لوالدتي التي رحلت إلى العالم الآخر قبل أكثر من عام ، فاشعر بأن اضلاعي تنحني فتضغط على رئتي بما لا يحتمله انسان آخر حتى ينقطع وجودي في هذا الكون فاحسب نفسي بحجم كرة يتقاذفها الصبيان ويركلونها باقدامهم لا استطيع الصراخ او الشكوى غير أن راحتي تبدأ حينما تنهمر دموعي وتنسكب فوق خدي"(الرواية :ص20) . يصف الراوي بيته وكيف تعيش عائلته يجمعهم الحب والامل تحت سقف واحد " في احدى غرف البيت كان يرقد والدي الذي اقعده المرض بعد أن تجاوز الخمسة والسبعين من عمره ... وفي غرفة أخرى شقيقي عماد الذي يصغرني بخمسة أعوام وزوجته نسرين وطفلتهما وجد... وفي حديقة البيت الامامية ثمة شجرة كالبتوس"(الرواية :ص19)، بساطة الحياة واجتماع العائلة ببيت واحد لم يمنع سلام من وصف بيته بوصف جميل يعبر عن حبه واحساسه بالحياة التي يعيشها بين اسرته.

4-1الصومعة

الفة سلام يعقوب لصومعة صبارو (بيته) وحبه لها ، جعله يصفها وصفا دقيقا ، على الرغم من بساطة المكان ، إلا أن الحب جعله لا ينظر إلى المكان بل إلى حبيبته صبارو " كنت اسير إلى جانبها وهي تدلف احد أزقة حي البتاوين ... ذهلت حين وجدت أن البيت لم يكن سوى غرفة مستطيلة فيها شيء من السعة تقدّر مساحتها ب 35 مترا مربعا منها زاويتان منفصلتان، الأولى اتخذتها مطبخا فيه طباخ بمشعلين اثنين وبعض الدور والاطباق الخزفية والمعدنية، والاخرى مرفق صحي (تواليت) وحمام سدت بابه بقطعة قماش داكنة وسميكة غطت ارضيتها بفرش بسيط"(الرواية :ص35)، إن حبه وشغفه بصبارو جعله يحب تلك الصومعة فوصفها بكل أبعادها وصفا حسيا ممتلئ بالصدق فمن المستحيل أن لا تترسم بذهن القارئ تلك الرغبة بما تحتوي من ابسط سبل الحياة ، فسلام هو من اطلق اسم صومعة على بيت صبارو بعد أن تعلق بها واحبها بمشاعر صادقة " سبق لي أن أسميت غرفتها بالصومعة ففيها طوافي حول جسدها "(الرواية :ص52).

فنراه يختزل حبه لها بكلمة (طوافي حول جسدها) فأصبحت كالمعبود بالنسبة له، أما وصفه للصومعة من الخارج، فتمثل بالشباك الذي يطل على أزقة البتاوين وشوارعها بساحاتها، "كانت تنظر من وراء زجاج نافذتها الصغيرة المطلة على انعطافة الزقاق نحو المساحة الترابية"(الرواية : ص50)، إن كل أبعاد الغرفة (الصومعة) التي تمثل بيت صبارو، جعل من سلام اليعقوب يعيش احلى لحظات حياته، بل اصبحت هي كل شيء بالنسبة له، ومن خلال قراءتنا للرواية ومدى ارتباط صبارو بحياة سلام؛ نجد أنّ الصومعة وصبارو قد منحا سلام بعدين:

الأول: تمثل بتعرّفه على امرأة حيث كانت هي التجربة الأولى في حياته.

الثاني: إنّ معرفة صبارو جعله يزيل ذلك الخجل المتراكم " فلم اتمالك نفسي فنهضت متجاوزا خجلي المتراكم "(الرواية : س40)

5-1 المستشفى

تحضر بعض الأماكن في رواية صبارو لتكون لحدث مهم؛ وهذه الأماكن ذات دلالة موضوعية حتى انها تكاد تكون حدثا بحد ذاته على الرغم من عدم تعرض الراوي إلى وصف ذلك المكان بصورة دقيقة ومن هذه الأماكن: المستشفى ودائرة الطب العدلي.

فمرض صبارو الأول، والثاني الذي أودى بحياتها كان أهم محطة بحياة سلام بصورة خاصة،والسرد الروائي بصورة عامة، وعلى الرغم من أهمية الحدث في حياة بطل الرواية وهو الشخصية الرئيسة فيها ، إلا أننا نرى أنَّه اكتفى بذكر المستشفى دون ذكر اوصاف محددة لمكان المستشفى، والدلالات النفسية، " وفي الصباح الباكر ومن دون تناول الفطور بحسب تعليمات الطبيب وصلنا إلى المستشفى استقبلتنا إحدى الممرضات"(الرواية : ص61). وعلى اثر مرض صبارو يفقد سلام اليعقوب حبه الأول الذي عاش تجربته في بداية حياته وعنفوان شبابه.

أمّا دائرة الطب العدلي فكذلك لم ترد على لسان الراوي في رواية صبارو سوى ثلاث مرات ولم يتطرق إلى أبعاد ذلك المكان ولم نستطع أن نستشف دلالته بالرواية، إذ كان من الممكن أن يجعل منه صوراً فنية ، وأبعادا مختلفة تشد القارئ لمحتوى جديد لمكان جديد،" نقل الجيران جثة سعدي إلى دائرة الطب العدلي، واكتفى الأطباء بأن موته كان نتيجة إصابته بسكتة قلبية"(الرواية :ص 67)، " سلام اليعقوب كان أحد ضحايا انفجار سيارة مفخخة في شارع الصليخ الذين تم نقلهم إلى دائرة الطب العدلي "(الرواية : ص143) ، " توافد الخميسيون إلى دائرة الطب العدلي ..."(الرواية : ص145)

2/ فضاء المكان المفتوح:

«وهو المكان الذي تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة» (بورايو ، 1997: ص146) فهو مساحة مفتوحة لا تحدها حدود ضيقة وتكتسي الأماكن أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها من خلال ما تمد به الرواية من تفرعات علاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأمكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء (هنية ، 2013 :ص110) فتتميز رواية صبارو بكثرة الأماكن الروائية المفتوحة في النص سواء كانت تابعة للشخصية الرئيسة أم أشخاصاً ظهروا عرضا أو ابطالا ثانويين فيها، فهي غير محدودة في قرية أو مدينة وتتشعب في الحديث في أماكن عدة تتقاطع في سرد البطل وذكرياته، ويأخذ أهمية في هذا النص كونه يشكل سببا محوريا في اختيار بطل الرواية وردود افعاله. والاماكن المفتوحة هي أماكن انتقال وحركة حيث يتجلى بوضوح الانتقال والحركة (سعاد ، 2008:ص92) ، والاماكن المفتوحة تمتلك القدرة على الاتصال والتواصل مع اماكن اخرى وهذا ما لا نجده في الاماكن المغلقة(حيال ،1987:ص92).

ويختلف المكان المفتوح عن المغلق بانفتاحه واتساعه؛ فالحديث عن الاماكن المفتوحة هو حديث عن اماكن ذات مساحات هائلة كالنهر أو المدينة أو مساحات متوسطة كالأحياء أو ما يستخدم في أدب الرحلات كالسفن والقوارب، وتختلف هذه الاماكن بما تحققه للانسان من الالفة والأمان والإنسجام أو الضيق والاغتراب إذ أن " دلالتها الإنفتاحية لا يمكن التطرق إليها إلا من خلال تفاعل الشخصيات واندماجها مع المكان واستيعابه لمقوماته " (النابلسي ، 1980 :ص40)

2-1القرية

فضاء جغرافي مهم شأنها شأن فضاء المدينة لها حدود فاصلة بينها وبين القرى الاخرى المجاورة ، أو المدن الأخرى بحيث نجد في الواقع مدناً كبيرة مجاورة تحفوها قرى مجاورة، والقرية لها سمات مميزة بحيث تحتل مكانا واسعا في الروايات العربية إن لم قل معظمها، وبذلك فالقرية ظلت تمثل في الرواية العربية مكانا رفيعا(المصدر السابق :ص40). إن ظهور القرية والمدينة في رواية صبارو عندما اجبرت ضمياء بترك وظيفتها وبيتها في بغداد واضطرت للذهاب إلى بيت ابن خال والدتها (أبي إبراهيم) في قرية الشوفة في محافظة الديوانية، حيث سلط الراوي الضوء على كشف التباينات الاجتماعية والفكرية ومستوى التغيير الذي حصل في حياة ضمياء لاسيما المعيشي بينها وبين افراد القرية ومدى انعكاس هذا كله عليها، خصوصا انها تكيفت للعيش في القرية

واصبحت جزءا من ذلك المكان في الرواية " في قرية الشوفة ضمن الحدود الإدارية لقضاء الحمزة الشرقي التابع لمحافظة الديوانية (الرواية :ص116) .

" قرية الشوفة عبارة عن بيوت متقاربة ومشيدة من البلوك والسمنت ومسقفة من الشيلمان تشتمل على قدر متواضع من النظافة دروبها ترابية وضيقة إلى حد ما وعلى مقربة منها نصب محطة تصفية مياه الشرب على الضفة اليسرى من النهر"(الرواية :ص116) . في ذلك الوصف الدقيق للقرية تكمن قيمة العمل الفني ، ويتجلى مدى تأثيره بالسمات التي تمرلمجتمع عامة ، وشخوص الرواية خاصة ، فشاكر المياح في روايته حاول أن يكون عند مستوى مسؤلياته الفنية ، فقد عالج بأسلوبه الفني التحليلي والوصف الدقيق لمدينة الشوفة، محاولا مقارنة الرغبة في العيش تحت ظروف افضل.

2-2 \ الشارع

ان أهم الأماكن المفتوحة في الروايات هو الشارع ، فهو يمنح الشخصيات حرية الحركة والتنقل، ونظرا لامتداده وانقسامه وربطه بين أماكن عدة فهو "يعد تيار الزمن الذي لا يتوقف والمنبر الحر المفتوح لاحتواء الحدث الروائي ورسم ابعاده" (فياض، 2014:ص18).

فتمثل الشارع رواية صبارو في شارع أبي نواس حيث جسد هذا المكان في الرواية ، مكان راحة واطمئنان؛ كونه المكان الذي قصده سلام مع طلابه في سفرة مدرسية ليبتعد عن روتين الحياة اليومي من جانب ، ومن جانب آخر هو استعادة بغداد التي سلبتها منا العتمة الهوجاء : "نشاطكم هذا اليوم لا يعني سفرة مدرسية هدفها الترفيه عنكم وإن كان هو كذلك في ظاهره الاجرائي ، غير أن جوهره عظيم واكثر مما يتصوره المرء حتى وإن كان اختصاصيا، بإيجاز اننا بهذه السفرة نسترد بغدادنا التي سلبتها منا العتمة الهوجاء"(الرواية :ص15) . فالراوي عرّج على موضوع سياسي بحت داخل سرد الرواية وإن كان بالإشارة، " فقررت أن اصطحب تلاميذي في سفرة مدرسية إلى شارع أبي نواس ليمرحوا ويرتعوا بين مروجه الخضر وليتطلعوا إلى ضفاف دجلة الخير والنماء ويتركوا خلف ظهورهم تلك المشاهد المأساوية التي تنقلها شاشات الفضائيات ويستبدلوا صور الموت بصور الحياة والجمال" (الرواية :ص13) ، استطاع الراوي بهذا الوصف المزج بين الخير والشر، والحياة والموت، والتفاؤل واليأس، كل هذا بصورة فنية واحدة هدفها جعل المتلقي أو القارئ ينظر إلى المستقبل نظرة الحياة وجمالها، ومن خلال هذه الصور التي رسمها الراوي لشارع أبي نواس نلتمس جمالية المكان الروائي، فقد رسم بغداد من خلال ذكره أهم شوارعها وأشهرها، أثناء سير الحافلة،

وهي قاصدة مكان محدد، قصد الكاتب من ذلك استغلال سير الحافلة بالشارع؛ كي يتمتع الطلاب بالمناظر الجميلة من جانب، ومن جانب آخر لإيصال فكرة استتباب الأمن والطمأنينة وعودة الحياة لشوارع بغداد وازقتها، بعد أن مرت بحرب (شبه) أهلية عام 2006 " كان المدير قد اتفق مع ضابط مفرزة الحماية وسائق الحافلة على أن يكون خط سيرهم عبر جسر الأعظمية المعلق ومن ثم شارع مطار المثنى ؛ بغية أن يطّلع التلاميذ على بعض ملامح الجانب الآخر من بغداد والعودة مرة أخرى عبر جسر الأحرار مرورا بشارع الرشيد والدخول إلى شارع أبي نواس من تحت جسر الجمهورية"(الرواية :ص23)، هذا المقطع مليء بالاماكن الروائية وأهمها وما يخص موضوعنا بعض شوارع بغداد – ولضيق البحث نستخلص فكرة واحدة فقط، إلا أن الصورة المستوحاة من هذه السطور فكرة واحدة أراد إيصالها شاكر المياح إلى القارئ، وهي كسر نمطية الطائفية والتخندق الطائفي، والذبحعلى الهوية والأسماء والمذهب ومناطق السكن (العيش)، استطاع المياح أن يبرهن للمتلقي بسطور بسيطة جدا، أنَّ بغداد عادت بغداد.

2-3 \ الزقاق

الزقاق هو الطريق الضيق، بالكاد يسمح بمرور سيارة صغيرة، يدخل الزقاق في صراع كتّاب الروايات ويصبح محور الصراح في معظمها، وربما تكون المرتكز الأساس في بعض الروايات، كما في رواية (زقاق المدق) لنجيب محفوظ.

والزقاق هو جزء من الشارع الذي تحدثنا عنه سابقا، ولكنه من أهم المحطات في رواية صبارو وضمياء تحديدا، بل كان السبب الرئيس في تشتت عائلتها وترك بيتها ووظيفتها " شاب بدى انه في الخامسة والعشرين من عمره يقف في زوايا الزقاق الذي تطل عليه المدرسة على جانب الكشك القريب منهما، كان يرقبني من بعيد خيل لي أنه يمارس هذه الرقابة منذ عدة أيام ولم انتبه له"(الرواية :ص104). كان الزقاق يشكل مصدر قلق وخوف لدى ضمياء ؛ لوجود ذلك الشاب العشريني الذي يقف عنده يوميا، يرتقب حركتها أثناء دخولها وخروجها من المدرسة، وبدت الشكوك في سريرتها فتقول هل هذه صدفة عابرة؟ أم أن وراءه أمر آخر؟ إلا أن تكرار وقوفه في تلك الزاوية جعلها في حيرة من أمرها: " ظنت بأن الأمر ربما يكون سرا ولا يعد كونه مصادفة ليس إلا ولكن تكرار وقوفه في تلك الزاوية ذاتها جعلني في حيرة وتساؤل"، ربما لم يكن المياح واصفا الزقاق وصفا دقيقا، وربما لم يكن في خياله أن يكون له دور أو محور أساس في الرواية ، ويستمر الراوي في سرد الحدث المرتبط بالزقاق، وأخذت تتساءل فيما بينها " هل هو يقصدني بالذات؟ أم أن وقوفه لغاية أخرى؟ وهل يعرفني يبغي مني شيئا؟ وماذا لو سولت نفسه وتحرش بي

بطريقة لا أخلاقية؟"(الرواية :ص104) ، لم تفكّر ضمياء بهذا الشاب سوى ذلك التفكير الشرقي، الذي يحاول أن يتسلل إلى قلوب الفتيات لاستمالتها، وفي اليوم التالي الذي انتبهت به إلى وقوف ذلك الشاب في الزقاق وهي في طريقها إلى المدرسة " مرّ بي بسرعة خاطفة ووضع بكفي قصاصة ورقة مطوية واختفى بلمح البصر، كانت مفاجأة غير متوقعة بالنسبة لي"(الرواية :ص104)، ومن هنا بدأت اكبر مشكلة في حياة ضمياء ألا وهي تلك القصاصة التي وضعها ذلك الشاب بيدها، فقد تغيير مجرى حياتها تغييرا مفاجئ وأصبحت ملاحقة من قبل أجهزة الأمن، ظنّا منهم بأنَّ لها علاقة بذلك الشاب حيث اتضح لاحقا انه ينتمي إلى الحزب الشيوعي، ربما أراد الكاتب أن يبني علاقة بين الزقاق وتلك القصاصة؛ لذلك اتخذها موضعا في الرواية ، فالزقاق بما وصفناه سابقا، يعطي انطباعا لدى المتلقي بامكانية استخدامه باخفاء ما يريد اخفاءه بعيدا عن العيون والعسس.

2-4 \ المقبرة

ان دلالة المقبرة في رواية صبارو دلالة واضحة إذ تبيّن موت بعض الشخصيات التي لعبت دورا مهما ومفصليا في أحداث الرواية، فالموت لم يوظف بمفهومه المصطلح عليه والمعروف كنهاية بيولوجية ، بل تنوع توظيفه تبعا لتنوع الدلالة المكانية وعلى الرغم من عدم وصف المقبرة وصفا دقيقا – و لم يعرّج الكاتب على ابعادها – إلا أنّ ظهورها في النص بحدث مهم جدا ألا وهو موت حبيبة سلام صبارو.

والملفت للنظر أن الراوي عند وفاة الشخصية الرئيسة في الرواية لم يصف المقبرة فيها ، بل اكتفى بصورة التشييع فقط " اكملنا مراسم التغسيل والتكفين وازفت لحظة مواراتها الثرى وقبل أن نهيل عليها التراب كنت أنظر إلى الجسد الملفوف بالقماش الأبيض في قعر القبر وانا اذرف الدموع بغزارة "(الرواية :ص77) .

استعمل الكاتب المقبرة استعمالا خر وإن كان عنوان الصورة التي رسمها للمقبرة هو استعمال متعارف عليه ، إلا أنّه أراد إيصال فكرة اللحظات التي كان يعيشها العراقيون أيام حرب الثمان سنوات ، حيث عشرات النعوش تسقبلها تلك المقبرة الملفوفة بالعلم العراقي إيذانا بأنهم شهداء ، فكان عزاؤه برؤية صور الشهداء أكثر من عزاؤهوفاة صبارو.

" انطلقنا باتجاه مقبرة الشيخ عمر السهرودي .. كان عزائي في نظر عشرات النعوش الملفوفة بالعلم العراقي فهي تترى وتذهب في مسارب شتى لتستقر في باطن الأرض في مقابر النسيان والذوبان في عمق الزمن والتاريخ ومجاهل الغيب"(الرواية :ص77)

2-5 النهر

يُعدّ "النهر" من أبرز الرموز الطبيعية التي وجد فيها الشعراء والكتاب دلالات وإيحاءات خصبة للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم. هذا النهر يحمل في طياته طاقات رمزية توحي بالحياة والنماء والخصب من جانب، وبالاغتراب والاستلاب والحزن من جانب آخر،وذلك حسب السياق التي ترد فيه هذه المفردة. والنهر مكان مفتوح يكتظ بعدد كبير من شحنات الجمال والدلالات المتنوعة ، فالروائي في رواية صبارو يرسم لنهر دجلة صورة جمالية رائعة وإن لم يدقق الوصف في تفاصيله ، إلا أن الحدث المهم في الرواية وهو مصارحة سلام لحبيبته ضمياء ، جعل من المكان صورة مليئة بالجمال " حررت كفها من قبضة كفه ، ثم نهضت وتقدمت خطوة واحدة وهي مواجهته نهر دجلة تتأمل مائه الرقراق وتغور بعيدا كأن طائرا عملاقا حلق بها شاهقا وهو يجوب بها الفضاءات القصية"(الرواية :ص30) .

يبدو أنَّ الكاتب كان متأثرا بالمشاهد الرومانسية في السينما المصرية أيام السبعينيات والثمانينيات ، فرؤاه الفكرية لم تستطع أن تبحر كثيرا ، وتسبغ أكثر في بناء مشهد رومانسي اكثر درامية ، سوى اختياره لمكان النهر حيث أغلب العشاق يلتقون على ضفافه.

النتائج

1- وظّف الروائي المكان على أنه مكان حقيقي، فكانت بغداد وضواحيها وشوارعها مسرحا للرواية بأسماء حقيقية وموقع جغرافي واقعي، فأعطى مصداقية للرواية.

2- وصف المياح الصومعة ليوضح الوضع الاجتماعي والاقتصادي للشخصية، إذ كانت أحد الركائز الأساسية في الرواية.

3- تأثير المكان في نفسية الشخصيات كان كبيرا عبر تحول بعض الأماكن من المغلقة (الحانة) إلى المفتوحة(شارع ابي نواس)؛ لأن الثقل النفسي الذي يسلطه المكان على الشخصية يخلط الموازين.

4- قدم الوصف صورة بصرية للمكان الذي تدور فيه أحداث الرواية؛ مما جعل المتلقي قادرا على إدراكه وقبول ما يجري.

5- لم يغفل الكاتب عن دمج الزمان بالمكان في روايته هذه، وإن كان عنصر المكان أوضح و أوسع فيها.

6- توصل البحث إلى تنوع أسلوب المياح في استخدام المفارقات الزمنية المرتبطة بالمكان والتي تمثلت بالاسترجاع

المصادر والمراجع

1- الأزهري، ابن منصور محمد بن احمد، تهذيب اللغة، تحقيق: علي حسن الهلالي، ج10، مصر- القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة،(د.ت).

2- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط4، مج 13، بيروت – لبنان ، 2005م.

3- أبو هيف، عبدالله، جماليات المكان في النقد الأدبي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 27 ، ع 10 ، 2005م.

4- باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة، غالب ملسا، ط5، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 2000م.

5- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (الفضاء ، الزمان ، الشخصية) المغرب – الدار البيضاء ، ط2 ، دار المركز الثقافي العربي ، 2009م.

6- بوديبه، ادريس، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، قسنطينة، شركة اشغال للطباعة ، 2000م.

7- بورايو ، عبد الحيد ، منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة) ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عنكون ، 1997

8- جهاد، احمد حيال، تشكلات بناء المدينة في الرواية العراقية (1980-2003)، اطروحة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1987م.

9- الحمداني، حميد، بنية النص السردي، (من منظور النقد الأدبي) ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1991م.

10- زايد، عبد الصمد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ط1، تونس، دار محمد علي للنشر، 2003م.

11- زغرب، صبيحة عودة، غسان كنفاني (جماليات المكان في الخطاب الروائي)، ط1، عمان، دار مجدلاوي، 2006م.

12- سعاد، دحماني، دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2007-2008م.

13- سعدون، غيداء أحمد، المكان والمصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد 11 ؤ، ع 20 ، 2000م.

14- الطعان، صبحي، عالم عبد الرحمن منيف الروائي، ط1، عمان، دار كنعان للنشر، 1995م.

15- عاشور، عمر، البنية السردية عند الطيب الصالح (البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال) الجزائر، دار هوبة للطباعة والنشر، (د .ط) 2010م

16- العبيدي، رشا قاسم فياض، الفضاء الروائي في روايات محسن جاسم الموسوي، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية، باشراف ، د . علي حسين جلود ، 2014

17- قاسم، سيزا، بناء الرواية دراسة مقارنة، في ثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة (د.ط)، سلسلة إبداع المرأة، وزارة الثقافة والاعلام ووزارات اخرى مشاركة،2004

18- كريم الدين، جاسب، تقنيات السرد والنماذج البدنية في دورة مكانية من (الف ليلة وليلة) (رسالة) بيروت – لبنان، رنا عبد الكريم كشلي ، 2000م .

19- محمود، وجدان يعكوب، الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة العراقية، إشراف جبر صالح حمادي، 2011م .

20- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، الكويت، عالم المعرفة،1998م.

21- النابلسي، شاكر، جماليات المكان، ط1، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، 1994م.

22- النصير، ياسين، **الرواية والمكان**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1980م.

23- هنية ، جواد ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، اطروحة دكتوراه ، باشراف صالح مفقودة ، الجزائر ، 2013

Sources and references

1- Al-Azhari، Ibn Mansour Muhammad bin Ahmed، Tahdheeb al-Lugha، edited by: Ali Hassan al-Hilali، Ch،10 Egypt - Cairo، the Egyptian House for Authorship and Translation، (n.d.(

2- Ibn Manzur، Abi al-Fadl Jamal al-Deen Muhammad bin Makram، Lisan al-Arab، 4th ed، Volume ،13 Beirut - Lebanon، 2005AD.

3- Abu Haif، Abdullah، Aesthetics of Place in Literary Criticism، Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research - Arts and Humanities Series، Volume ،27 No. ،10 2005AD.

4- Bashlar، Gaston، Aesthetics of Place، Translation، Ghalib Melsa، 54- th ed، Beirut، University Institution for Studies، Publishing and Distribution، 2000AD.

5- Bahrawi، Hassan، The Structure of the Narrative Form، (Space، Time، Character)، Morocco - Dar Al-Bayda، 2nd ed، House of the Arab Cultural Center، 2009AD.

6- Boudeba، Idrees، Vision and Structure in the Novels of Al-Taher Wattar، Constantine، Works Company for printing، 2000AD.

7- Borayo، Abdel-Haid، The Logic of Narration، (Studies in the Modern Algerian Story)، Algeria، Ben Ankoun University Press، 1997AD.

8- Jihad، Ahmad Hayal، Formations of City Building in the Iraqi Novel (2003-1980)، Thesis، University of Baghdad، College of Arts، 1987AD.

9- Al-Hamdani، Hamid، The Structure of the Narrative Text، (From the Perspective of Literary Criticism) 1st ed، Beirut، Center The Arab Cultural، 1991AD.

-10- Zayed، Abdel Samad، The Place in the Arabic Novel (Image and Significance)، 1st ed، Tunis، Muhammad Ali House for Publishing، 2003AD.

11- Zagreb، Sabiha Odeh، Ghassan Kanafani (The Aesthetics of Place in Narrative Discourse)، 1st ed، Amman، Majdalawi House، 2006AD.

12- Souad، Dahmani، Significance of Place in Naguib Mahfouz Trilogy، University of Algeria، Faculty of Arts and Languages، 2008-2007AD.

13- Saadoun، Ghaida Ahmed، Place and Approaching Terminology، has a conceptual study، Journal of Research of the College of Basic Education، Volume ،11 No. ،20 2000AD.

Al-Taan، Subhi، Abd al-Rahman Munif، the novelist scholar، 114- st ed، Amman، Canaan House for Publishing، 1995AD.

15- Ashour، Omar، The Narrative Structure of Tayeb Al-Saleh (The Temporal and Spatial Structure of the Season of Migration to the North)، Algeria، Houba House for Printing and Publishing، (n.p) 2010AD.

16- Al-Obeidi، Rasha Qassem Fayyad، Narrative Space in the Novels of Mohsen Jasim Al-Mousawi، Master Thesis، Dhi Qar University - College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language، under the supervision of Dr. Ali Hussain Jalloud، 2014AD.

17- Qasim، Siza، Building the Novel، a Comparative Study، in Naguib Mahfouz's Trilogy، Cairo (n.d)، Women's Creativity Series، Ministry of Culture and Information and other participating ministries، 2004AD.

18- Karim El Din، Jaseb، Narrative techniques and physical models in a spatial cycle of (One Thousand and One Nights) (Master Thesis) Beirut - Lebanon، Rana Abdul Karim Kashly، 2000 AD.

19- Mahmoud and Jiddan Yaakoub، Time and Place in Najeeb Al-Kilani Novels، Master Thesis، College of Arts، Iraqi University، supervised by Jaber Saleh Hammadi، 2011AD.

20- Mortad، Abdul-Malik، in the theory of the novel (research in narration techniques)، Kuwait، The World of Knowledge، 1998AD.

Nabulsi، Shaker، Aesthetics of Place، 121- st ed، Amman، Al Faris House for Publishing and Distribution، 1994AD.

22- The Naseer، Yasseen، The Novel and the Place، Baghdad، House of General Cultural Affairs، 1980AD.

23- Haniyeh، Jawad، the image of the place and its significance in the novels of Rasini Al-Araj، a doctoral thesis، supervised by Saleh Mafkouda، Algeria، 2013AD.